قيم التربية والاخلاق في فلسفة جون ديوي

م. كفاح علي عثمان
جامعة بغداد / كلية العلوم الإسلامية / قسم الفلسفة
Keefh1977@gmail.com

الملخص:

كان جون ديوي أحد فلاسفة النصف الأول من القرن العشرين الذي اتسمت فلسفته بالشمولية والعمق، وبروح إنسانية ضد التعصب والنفعية والعزلة، وميل علمي قائم على البحث والتجريب والاختيار واستخدام نتائج العلم كأداة للتنمية والتغيير وخدمة الإنسانية وتحقيق الأمن والسلام للبشرية. يتم الإنسان بطريقة اللاوعي منذ الولادة التي تحكم وجود الفرد في المجتمع، وهي عملية مستمرة ومتطورة، وليست استعدادًا للحياة المستقبلية، بل هي الحياة نفسها.

جاء بحث قيم التربية والاخلاق في فلسفة ديوي مقسم الى مبحثين الاول تناولت فيه ديوي تاريخا وتأليفا في الفقرة الاولى وفي الفقرة الثانية أشهر مؤلفات ديوي

أما المبحث الثاني فجاء تحت عنوان الذرائعية والقيم الأخلاقية، حيث تناول في الفقرة الأولى القيم الأخلاقية، والثاني التعليم التقدمي حسب جون دو، والفقرة الثالثة، والتعليم في المدرسة والمجتمع، ثم خاتمة للبحث. وقائمة المصادر.

الكلمات المفتاحية: (القيم، التربية والاخلاق، فلسفة جون ديوي).

The values of education and morals in the philosophy of John Dewey

Kefah Ali Othman
University of Baghdad / College of Islamic Sciences / Department of Philosophy

Abstract:

John Dewey was one of the philosophers of the first half of the twentieth century whose philosophy was characterized by comprehensiveness and depth, a humanistic spirit against fanaticism, utilitarianism, and closure, and a scientific tendency based on research, experimentation, selection, and

using the results of science as a tool for development and change, serving humanity and achieving security and peace for humanity. The human race takes place in an unconscious way from birth that governs the individual's existence in society, and it is a continuous and developing process, and it is not a preparation for future life, but rather life itself.

The study of the values of education and ethics in Dewey's philosophy was divided into two sections.

The second topic came under the title of instrumentalism and moral values, which dealt with in the first paragraph the moral values, the second the progressive education according to John Doe, the third paragraph, education in school and society, then a conclusion to the research and a list of sources.

Keywords: (values, education and ethics, John Dewey philosophy).

المبحث الاول: جون ديوي تاريخا وتأليفا

جون ديوي ١٨٥٩-١٩٥٢ فيلسوف براجماتي امريكي معاصر من فلاسفة النصف الاول من القرن العشرين تميزت فلسفته بالشمول والعمق والدينامية، وبروح انسانية مناهضة للتعصب والنفعية والانغلاق وبنزعة علمية قائمة على لبحث والتجريب والاختبار واستخدام نتائج العلم اداة للتطوير والتغيير وخدمة الانسانية وتحقيق الامن والسلام للبشرية (الالوسي ١٩٩٠، ١٦٩)

حصل ديوي على الدكتوراه في الفلسفة عام ١٨٨٣ من جامعة هوبكنز وأصبح بعدها مدرسا في دائرة الفلسفة بجامعة ميشكن في عام ١٨٩٤ انتقل الى الجامعة المنشأة حديثا ليرأس الدائرة التي تضم فروع الفلسفة وعلم النفس والتربية وفي هذه الجامعة برزت ثورته التربوية المسماة" بالتربية المتجددة " وتأكيد صحتها ولم تلق اختباراته هذه ترحيبا من ادارة الجامعة وتزوج من اليس تشامان التي كانت تعمل معلمة لتكسب

معاشها واثرت في زوجها اثرا عظيما فهي محبة للعلم، صافية الذهن، رقيقة القلب تتميز بغيض من الشجاعة والحيوية (الطائي ٢٠٠٣، ١٧١)

فلسفته اخلاقية ناشدت الانسان الى تحمل قدره ومسؤوليته التاريخية في مواجهة واقع طبيعي واجتماعي يتميز بالصعوبات والمشاكل والتحديات والى ضرورة التعاون والايثار ومحبة الناس وخدمتهم ففلسفته تفاؤلية واثقة بقدرة الانسان والعلم والمعرفة على تغيير حياة الانسان وجعلها أكثر كمالا واوفر معنى (الالوسي ١٩٩٠، ١٦٩)

جون ديوي ثالث بناه المذهب البراغماتي في امريكا بعد تشارلز بيرس ووليم جميس وهو اوسعهم شهرة واعمقهم نفوذا تميز عن سلفه واطلق على فلسفته اسما جديدا هو مذهب الاداتية وحاول تطبيق مبادي هذه الفلسفة في مجالات لم تخطر لهما على بال ولهذا السبب لم يقتصر نفوذه على اوساط الفلاسفة المحترفين بل امتد الى التربية وعلم الجمال والنظرية السياسية (كامل ١٩٩٣، ١١٥).

اثمرت اقامته في شيكاغو واشتغاله رئيسا لقسم الفلسفة بجامعتها ثمارا فلسفية الى جانب ما انتجته في التربية فقد اتجه الى تنمية مذهبه في الاخلاق وعلم النفس والمنطق فألقى فيه ثلاثة محاضرات تدور حول الاخلاق هي منطق الاخلاق، الاخلاق الاجتماعية ، والاخلاق النفسانية وهذا الموضوع الاخير هو الذي كان اساس كتابه المشهور والمعروف باسم " الطبيعة البشرية والسلوك الانساني (الطائي ٢٠٠٣، ١٧٢)

ثانيا: – مؤلفات جون ديوي

- المدرسة والمجتمع ١٩٠٠
- دراسات في نظرية المنطق ١٩٠٣

- الاخلاق ١٩٠٨
- كيف نفكر ١٩٠٩
- تأثير دارون على الفلسفة ١٩١٠
- الديمقراطية والتربية ١٩١٣
- مدارس الغد، مع ابنته " افلين" ١٩١٥
- محاولات في المنطق التجريبي ١٩١٦
- الذكاء المبدع ١٩١٧
- تجديد في الفلسفة ١٩٢٠
- الطبيعة البشرية والسلوك الانساني ١٩٢٢

وصور لنا ديوي تطور تفكيره ولخصه في اربعه امور هي:

١. الاهتمام بالتربية نظريا وعمليا وبخاصة الصغار وان التفلسف يجب ان يدور حول التربية من جهة انها تاج الاهتمامات الانسانية
٢. اخراج منطق جديد يلغي الثنائية القائمة بين منهج العلوم ومنهج اخر للأخلاق اذ ان العلم هو التفكير النظري والاخلاق هي السلوك العملي وهذا هو المنهج الجديد الذي اسماه " بالاداتية "
٣. تخليص علم النفس من النزعات الميتافيزيقية والبحث عن الشعور وتطبيق العلوم البيولوجية على دراسة نفسية الانسان
٤. تطبيق العلم الحديث ومناهجه على العلوم الاجتماعية مثل التاريخ والسياسة واللغة والادب والانثروبولوجيا (الطائي ٢٠٠٣، ١٧٣).

المبحث الثاني / الاداتية والقيم الاخلاقية

اولا: الاداتية

يعتقد جون ديوي ان الفلسفة مهمة انسانية قلبا وقالبا وعلينا ان نحكم عليها في ضوء تأثيرها الاجتماعي او الثقافي (كامل، الموسوعة الفلسفية المختصرة ١٩٦٣، ١٤٧)

ان براغماتية ديوي الاداتية فلسفة شملت بمباحثها مجالات واسعة من مباحث الفلسفة في المنطق والمعرفة والاخلاق والفن والتربية والسياسة وفق نظرة علمية استحدث من علوم الطبيعة والاحياء والنفس والاجتماع نظرة اعتبرت الانسان جزءا من بيئة طبيعية متطورة وفق قانون التطور والارتقاء وان سلوكه التكيفي بما فيه من معارف متقدمة جدا تخضع للدراسة الموضوعية في منهج اندماجي مؤسس على وحدة الكائن البيئية (الشمري ٢٠٠٨، ٣٤)

الاداتية هي لون من ألوان البراغماتية او فرع من فروع البراغماتية مذهب الأداة هو نظرية او إله للتأثير في التجربة وتبديلها والمعرفة النظرية وسيلة للسيطرة على المواقف الشاذة او وسيلة لزيادة قيمة التجارب السابقة من حيث دلالتها المباشرة (صليبا ١٣٨٥ هـ، ٢٠٤)

ان نظرية ديوي الاداتية هي نظرية تجريبية علمية تكون فيها الافكار كأدوات توجيه للإجراءات المستخدمة في تجربة معينة اذ يقول " ان التجربة تولد تلك الافكار والانجراف في حدود اجراءاتها وتختبرها بعملياتها الخاصة فاذا بلغنا هذا الميلغ ظفرنا بإمكان تجربة انسانية في شتى وجوهها تكون فيها الافكار والمعاني مقدرة ومتولدة ومستخدمة باستمرار (الاهواني ١٩٦٠، ١٦٤)

يؤكد ديوي ان المعرف المستمدة كلها من التجربة والتفكير ليس من طراز يختلف عن الادراك الحسي والأفكار استباقات للإدراكات الحسية والأشياء هي كما تدركها الحواس فقط وتوجد كما تدرك في التجربة ووظيفة التفكير الاولي ليست بناء افكار وصور الافكار تولدها الظروف (بدوي ١٩٨٠، ٤٩٩)

فالتفكير نوع من النشاط يقوم به كائن عضوي بيولوجي بشري كلما تصدعت بعض انماط سلوكه المعتادة ومهمة التفكير هي ان يحل المشكلات التي كانت مثالا له وعلينا ان نقيمه وفقا لما يتضمنه به الاعتقاد او الفعل الذي تترتب عليه من درجه نسبية من الدوام (كامل، الموسوعة الفلسفية المختصرة ١٩٦٣، ١٤٨)

يتبين لديوي " ان مهمة الفلسفة في المستقبل ستكون العمل على توضيح افكار الناس وتبصرهم بشأن ما يدور فعلا في عصرهم الذي يعيشون فيه من ضروب الصراع الاخلاقي والاجتماعي فغرض الفلسفة ان تصبح بقدر ما هو مستطاع للإنسان وسيله لمعالجة ضروب هذا الصراع وذلك التعارض" (قنديل ١٩٤٨، ٨٩)

ان الفلسفة في أصلها عبارة عن عملية اعادة بناء مستمرة للخبرة البشرية وليس يكفي ان نقول ان مهمة الفلسفة هي استخلاص المعاني الباطنة في صميم مجرى الاحداث بل يجب ان نضيف الى ذلك ايضا ان السبيل الوحيد للحكم على ايه فلسفة انما هو الوقوف على القيمة الفعلية لتلك الفلسفة في مضمار التحليل الاخلاقي (ابراهيم ١٩٦٨، ٦٤)

ان قيمة اي فلسفة مرهونة بالنتائج التي توصلنا اليها وعمل جون ديوي عل تصفية كل الثنائيات، من اجل اظهارنا على ان العقل ليس ملكة منفصلة عن التجربة او قدرة متعالية تقتادنا الى عالم أسمى يضم سائر الحقائق الكلية وانما العقل باطن في

الطبيعة مثله مثل اي شيء اخر له وجوده ودلالته في صميم التجربة فليس هناك حديث عن ذات عارفة من جهة وموضوع معروف من جهة اخرى (ابراهيم ١٩٦٨، ٦٣)، دعا ديوي الى اعادة بناء الفلسفة الى التجربة وان تنبذ المطلقات وتحبذ فكرة التحكم في الطبيعة بواسطة الذكاء الخلاق للإنسان

والذكاء عند ديوي هو أسمى عضو او ملكة تمكننا من إدراك الحقائق في صورتها النهائية فهو رمز من مختصر نشير يه الى طرائق عظيمة لا تنفك عن النمو وأعني بها طرائق الملاحظة والتجريب والتفكير البرهاني التي قلبت في وقت جد وجيز ظروف الحياة المادية وكذلك ظروف الحياة الفسيولوجية الى حد كبير (قنديل ١٩٤٨، ١٣) الانسان يسعى بطبيعته الى تغيير المحيط الذي يعيش فيه وبالتالي الى البحث عن ذرائع او وسائل جديدة لتحقيق التكيف او التوافق مع بيئته فان التوافق الذي يهدف اليه الانسان في حياته المتصلة توافق طبيعي واجتماعي معا (هويدي ١٩٩٩، ١٦٠)

ثانيا: موقف فلسفة ديوي من القيم الاخلاقية

ان المنهج الذي استخدمه جون ديوي في دراسة القيم الاخلاقية هو المنهج العلمي اذا كان الشغل الشاغل لديوي هو تغيير القيم الاخلاقية في المجتمعات البشرية ويتذرع ديوي بالمنهج العقلي لإحداث هذا التغيير في القيم الاخلاقية والسياسية والجمالية وغيرها ولهذا سمي ديوي مذهبه بالمذهب الأداتي لأنه يتخذ من الفكرة اداة للعمل على نحو يحق للإنسان ما يبتغيه من تغير في مجتمع صناعي ديمقراطي كالمجتمع الذي تعيش فيه الولايات المتحدة في عصرنا الراهن (كامل، اعلام الفكر الفلسفي المعاصر ١٩٩٣، ١١٨)

في وسعنا ان نعتبر الموقف الاداتي الذرائعي بوجه من الاعتبار نظرية قيمة حين يرى ان برهان الحقيقة لا يمثل في مطابقته الواقع الخارجي ولا في استباق الحقيقة مع مقتضيات الفكر وانما يمثل في تجربة قيمة هذه الحقيقة تجربة مباشرة (العوا ١٩٩٥، ١٧٧)

مشكلة ديوي الرئيسية هو الاهتمام بالقيمة ولم يستطيع " ديوي " الا ان يكون بفلسفته داعيا الى تغيير القيم لان الحياة التي احاطت به كانت تسير بالفعل نحو هذا التغيير (كامل، اعلام الفكر الفلسفي المعاصر ١٩٩٣، ١١٨) استبدل ديوي مشكلة الصدق بمشكلة القيمة ان الاهتمام الرئيس لديوي منصب على مسالة القيمة ذلك ان دعاوي الصدق يمكن ان تصبح ممعنه في الغيبة الى اقصى حد وحينما تصطبغ احدى الدعاوى بصبغه غيبيه فمن المرجح ان يضيق بها ديوي ذرعا اذ يميل الى ان يستبدل بالسؤال القائل ماهي النتيجة الصادقة

ويتساءل ايضا ماهي النتيجة التي ينبغي ان ننتهي اليها إذا وضعنا في اعتبارنا ظروف المشكلة التي كانت مثار لتفكيرنا على الاطلاق فالقيمة لا تكمن في موضوع ولا في فكرة بل في العمل الذي ينخرط به الفاعل في العالم فيدمغه بطابعه (العوا ١٩٩٥، ١٧٧)

يوحد ديوي بين القيم" يوحد بين القيم، ولا فرق في نظره بين خير الفكر وخير السلوك لان لا فرق عنده بين النظر والعمل فالفاعلية الانسانية وحده لا تتجزأ (قنصوة ١٩٨١، ١٣٥)

ان احكام القيم حادث انساني غير ان القيم المثالية القبلية ليست سوى اسطورة ان ال ينبغي يصدر دائما عن اليوجد واليه دائما يعود، بل ال ينبغي هو في ذاته ال يوجد

المتصل بالعمل ولذا فان واقع القيمة واقع راسخ في كيان الانسان من الناحية النفسية ولكنه لا يرسخ في عواطف الناس وانما تمتد جذوره الى اهتمامهم، وهم يسعون الى التوفيق بين انواع اهتمامهم توفيقا ناجحا على مستويات العمل

صرح ديوي بان مهمة العقل " ليست التوصل الى المعارف او كشف الحقائق انه اداه لترقية الحياة والتفكير وظيفته خدمة الانسان انه خطة لمواجهة اشكال وفي فلسفته خاصة تأكدت قيمة النتائج الاجتماعية والفردية للأفعال الانسانة باعتبارها مقياس الخير والشر ومعيار الصواب والخطأ ان الخير هو الذي يخدم غايات الجماعة ومطالبة الفرد في الجماعة (الطويل ١٩٥٣، ٢٦٨)

يعرف جون ديوي قيمة الموقف الاخلاقي بقوله "هو الموقف الذي تفرض فيه اعتبارات الخير والشر والصواب والخطأ او الجميل والقبيح او الماهر والاخرق او الاقتصادي والمدبر (ديوي، جيمس و الشايجي ٢٠٠٧، ٢٧٧) بمعنى ان قيمة الموقف الاخلاقي هو الذي تفرض فيه اعتبارات الخير والشر

ان قيمة الموقف الاخلاقي يشمل " نشاطا ارايديا اي يشمل عامل الارادة حيث يتعين على الفرد ان يدرك ما حوله ان لا يكون مصابا بالجنون النومى، وان يكون لديه فكره عما يفعل وان لا يكون ابلها او معتوها او غير عاقل او طفلا غير ناضج بحيث يعرف ما يفعل يتعين ان يكون لدى الفرد كذلك امنية او رغبة او تفضيلا في الامر (ديوي، جيمس و الشايجي ٢٠٠٧، ٢٧٣)

وايضا يعرف ديوي قيمة الفعل الاخلاقي ويقول " بانه فعل يعبر عن الشخصية ومقياس حضوره هو وجود الرغبة والتفكير المرتوي وهما امران قد يتواجدان بشكل فوري ومباشر ومن يعيد من خلال تأثيرهما على عادات الفرد الا اننا لا نحكم على بعض الافعال من

حيث المهارة او الرداءة وعلى بعضها من حيث كونها مسلية او ملمة وهكذا (ديوي، جيمس و الشايجي ٢٠٠٧، ٢٧٤)

هناك افعال بشرية لا علاقة لها بالقيم الاخلاقية اذ يقول ديوي هناك ايضا افعال تحدث بسبب فكره ضمن النتائج المستهدف تحقيقها وهي افعال لا يحكم عليها بانها تقع ضمن دائرة الاخلاق والسلوك هو ثلاث ارباع الحياة بمعنى ما هو أكثر من ذلك اربعه ارباع الحياة اجمالي الحياة البشرية الواعية تعني بالغايات وباختيار وترتيب وتوظيف الوسائل العقلية والعملية ذات الصلة بهذه الغايات وهذا هو ما يكون السلوك (ديوي، جيمس و الشايجي ٢٠٠٧، ٢٧٦)

يعرف ديوي كذلك قيمة السلوك كفعل اخلاقي بقوله " انه نشاط قامت باستدعائه وتوجيهه افكار القيمة او الجدارة عندما تكون القيم المعنية المتضاربة مع بعضها البعض لدرجة انها تتطلب التفكير فيها والاختيار منها قبل الدخول مرحلة الفعل الصريح (ديوي، جيمس و الشايجي ٢٠٠٧، ٢٧٦)

فموضوع قيمة الاخلاق عند ديوي هو" سلوك الناس وغرضها ان تضع على نحو عام الفارق بين السلوك الحميد والسلوك السيء وبذلك تكون المهمة الاولى للأخلاق هي ان تتفهم طبيعة هذه الكائنات العضوية البيولوجية التي يتألف من مجموع سلوكها السياق الاجتماعي والمهمة الثانية للأخلاق هي ان تفهم انواع المواقف المشكلة التي تدفعنا الى ان نحاول التفرقة بين السلوك الحميد والسلوك السيء (كامل، اعلام الفكر الفلسفي المعاصر ١٩٩٣، ١٢١)

والخير عند ديوي يتضمن " معنى نمارسه وينتمي الى نشاط ينتهي فيه الصراع – التعويق للدوافع والعادات المتعارضة المختلفة بتحرر موحد منظم لهذه الدوافع والعادات

يظهر في العمل وهذا الخير الانساني هو انجاز يتوقف على التفكير، ويختلف عن الملذات التي تعثر عليها الطبيعة الحيوانية من طريق المصادفة، على اننا بالطبع نبقى حيوانات ايضا ما دمنا لا نفكر (ديوي و النجيحي، الطبيعة البشرية والسلوك الانساني ١٩٦٣، ٢٢٩)

كما يقول ديوي ايضا " لا توجد ضروب الخير الاخلاقي واهدافه الا عندما يكون ثمة شيء يجب ان يعمل ووجود شيء يجب ان يعمل دليل اذن على وجود نقص ما او شر في الموقف المعين ذاته فهو لا يكون ابدا نسخه مطابقة للنسخة الاصلية لشي اخر (ديوي و النجيحي، الطبيعة البشرية والسلوك الانساني ١٩٦٣، ٢٧٨)

ويؤكد ديوي ان " الفرد الذي اكتسب عادة التفكير الاخلاقي يعي مشكله جديدة وهي علاقة الخير العام بالخير الفردي والخير من ناحية النوع لا يكرر نفسه مرتين ابدا بل هو لا يكرر نفسه ابدا هو الجديد في كل صباح وهو الطازج في كل مساء وهو الفريد في كل تعبير لأنه يوضح نتيجة التعقيد المتميز للعادات والدوافع المتصارعة والتي لا يمكن ان تكرر نفسها على الاطلاق (ديوي و النجيحي، الطبيعة البشرية والسلوك الانساني ١٩٦٣، ٢٣) ويتحد ديوي ايضا عن قيمة الفضيلة ويقول " انه على عاتق الذات وعلى الفاعل يقع عب الحفاظ على القيم ونشرها التي تجعل الحياه معقولة وجيدة وقيمة العلم وقيمة الفن والصناعة وعلاقة الرجل بزوجته والاب بابنه والمعلم بتلميذه وهكذا لان هناك شخصيات تهتم باستمرار بمثل هذا الخير يتم تقديرها تعطي قيم ايجابية فان عادات الشخصية التي يؤدي تأثيرها على الحفاظ على الصالح العام ونشره هي فضائل فقيمة الفضيلة هي النزاهة والاستقامة اما الرذيلة فهي النفاق والرياء فالخير هو الصواب والاستقامة (ديوي، جيمس و الشايجي، علم الاخلاق ٢٠٠٧، ٥٠١)

ثالثا: قيمة التربية عند جون ديوي

نظرا للعمق التاريخي لآراء جون ديوي في الفكر التربوي العالمي والانتشار السريع لأفكاره ف مختلف دول العالم وتأثر العديد من النظم التعليمية بآرائه وافكاره التربوية احببت تقديم فكرة موجزة عن مفهوم التربية عنده.

التربية في نظر ديوي ظاهرة طبيعية في الجنس البشري تتم بطريقة لا شعورية منذ الولادة بحكم وجود الفرد في المجتمع وهي عملية مستمرة ومتطورة وهي ليست اعداد لحياة مستقبلية بل هي الحياة ذاتها وعملية من عملياتها اي لابد ان تكون حياة الجماعة المدرسية من وجهة نظره – حياة حقيقية يتم فيها الحصول على الخبرة مباشرة وان تشبه في وأقعيتها حياة الطفل في البيت او البيئة التي يعيشها

وايضا هي نفسية واجتماعية معا تعتمد في مبادئها على فهم نفسية الطفل واستعداده وتهيئت لطفل ليكون عضوا صالحا في المجتمع الذي يعيش فيه (كامل، الموسوعة الفلسفية المختصرة ١٩٦٣، ١٥١)

ان الفلسفة الاخلاقية انتهت بديوي الى افكار ثورية في مجال قيم التربية وهو المجال الذي اشتهر فيه ديوي بين العامة والخاصة بوصفه واحدا من أعظم واضعي اسس قيم التربية التقدمية

تاريخيا كانت المدرسة " المختبر حرفيا مدرسة، حي كانت تجرب طرق التعليم وكانت قد اسست منه ١٨٩٦ مع وصول ديوي الى جامعة شيكاغو التي كانت تابعة له وفلسفه ديوي في القيم التربوية " جزء متكامل مع فلسفته الاجتماعية العامة ففي رايه انه ينبغي ان تقيم التربية على اساس المقدمة القائلة بان كل تفكير حقيقي ينشا عن مواقف مشكلة. ومعنى هذا ان تربيتنا لطفل عن طريق اخضاعه لتعليم صارم مقنن في

المهارات الاساسية الثلاث " القراءة والكتابة والحساب " هي ايضا طريقة في السير " من القمة فنازلا" اما إذا كان تسير " من القاع فصاعدا "، ان تكيف اي ان التربية ان تكيف نفسها وفقا لما يشعر به الطفل من مشكلات حقيقية وان التربية بان تعلمه ابتكار الفروق واستخراج نتائجها وتمحيصها بالممارسة الفعلية

هكذا ركز ديوي على طبيعة التعليم وتحسينه عمليا، مجادلا بانه يجب علينا الا نعتبر الاطفال زهريات فارغه تنتظر بطريقة سلبية ان تكسب العارف فيها بل يتوجب اعتبارهم مراكز نشطة من الاندفاعات مشكله من قبل بئتهم ويقومون ايضا بتشكيلها وسوف يطوون عادات من نوع او اخر ابان تفاعلهم مع البيئة الاجتماعية (ديوي، عفراوي و زكريا، الديمقراطية والتربية ١٩٧٨، ١١)

يهاجم ديوي التصور السائد في المدارس والقائل بان الطفل كائن سالب ومهمة قيم التربية والتعليم هي فرض المعالم على ذهنه وانتقد ديوي مفهوم التربية لكونها مجد تعلم فيكون هدفها بعيدا فيقول" كانت التربية تعتبر ادة مجرد اعداد مجرد تعلم اي تحصيل اشياء معينة بحجة انها ستكون نافعة لصاحبها فيما بعد فالهدف بعيد فالتربية تحصيل للمعرفة وكسب للمهارة بغية استخدامها في المستقبل وللاستمتاع بما فيها وهي تكوين للعادات المطلوبة فيما بعد للإعمال وللقيام بواجبات المواطن الصالح ولمواصلة الدراسات العلمية (ديوي و قنديل، تجديد في الفلسفة ١٩٤٨، ٣٠٠)

ان المستقبل هو الامر المهم في قيمة التربية في اوسع معانيها هي " اداه هذه الإدامة للحياة من الناحية الاجتماعية فبواسطة عملية التربية نستطيع تقريب الثقة بين الفرد والجماعة فيقول ديوي "ان الاطفال يولدون وهم لايحيطيون ضربا بأهداف الجماعة وعاداتها بل هم لا يعياون بها ابدا، وما على الجماعة الا ان تبصرهم وتشير اهتمامهم

الحي بها وما من طريق الى ذلك اي الى تقريب الثقة بين الطفل والجماعة الا بالتربية (ديوي، عفراوي و زكريا، الديمقراطية والتربية ١٩٧٨، ٣)

تنتهي عملية التربية التي هي " عمل الحياة الرئيسي بوصول الاطفال الى التحرر من الاتكال الاجتماعي على غيرهم " (ديوي و قنديل، تجديد في الفلسفة ١٩٤٨، ٣٠١)

ان الحياة في أصل طبيعتها تسعى الى " دوام وجودها ولما كان هذا الدوام لا يتم الا بالتجديد المستمر فهي إذا عملية تجديد لذاتها فالتربية للحياة الاجتماعية هي بمثابة التغذي للحياة الفسلجية وهذه التربية في اساسها هي النقل بطريق الاتصال، الاتصال هو عملية الاشتراك في الخبرة اشتراكا يجعلها مشاعا بين الافراد وهذه العملية تبدل ميول كلا الجانبين المشتركين فيها " (ديوي، عفراوي و زكريا، الديمقراطية والتربية ١٩٧٨، ١٠) وهذا يعني ان الحياة في أصل طبيعتها تسعى الى دوام وجودها عن طريق التجديد المستمر .

وايضا يرى ديوي ان قيمة التربية " ينبغي ان تتولى الانتقال بالطفل والبالغ من تجربة غير ناضجة الى تجربة النضج قائمة على ذكاء الطفل او البالغ ومهاراته (بدوي ١٩٨٠، ٥٠١)

وضع ديوي شعارا لمذهبه التربوي يحمل العبارة الاتية " تعلم بان تعمل، بيد انه لم يقصد بهذا حرف التربية والتعليم عن التزويد بالعلوم والمعارف بل لفت الانتباه الى هذه الواقعة وهي ان الطفل مخلوق مولع بالنشاط محب للاستطلاع والاستكشاف فوظيفة التربية هي تشجيع العادات والاستعدادات التي تكون الذكاء " (بدوي ١٩٨٠، ٥٠٢)

رابعا: التربية في المدرسة والمجتمع عند جون ديوي

ان القيم التربوية يجب ان تكيف نفسها وفقا لما يشعر به الطفل من مشكلات حقيقية، اوضح ديوي ان المدرسة جزء لا يتجزأ من المجتمع وانها ينبغي ان تكون مجتما مصغرا مشذبا من الشوائب التي تجدها في المجتمع الكبير اذ يقول "اننا ميالون الى النظر الى المدرسة من وجهه نظر فردية بوصفها شئيا بين المعلم والطالب او بين المعلم والوالدين ان اكثر ما يثير اهتمامنا هو التدم الذي يحرزه طفل من معارفنا في نموه الجسدي وتقدمه في القدرة على القراءة والكتابة والحساب فبمثل هذه المعايير نقيس على المدرسة (ديوي و رحيم، المدرسة والمجتمع ١٩٦٤، ٣١)

يؤكد ديوي على سعة نظرتنا الى عمل ومفهوم المدرسة" فكل ما ينجزه المجتمع لنفسه قد وضع برعاية المدير رصيدا لأعضائه في المستقبل والمجتمع يأمل ان يحقق أفضل الآراء عن نفسه خلال الامكانات الجديدة التي تتفتح في المستقبل حيث تتحدد الروح الفردية والاجتماعية ولا يمكن للمجتمع ان يكون صادقا مع نفسه بأية صوره من الصور الا إذا كان صادقا في تسيره النمو التام لجميع الافراد الذين يؤلفون ذلك المجتمع (ديوي و رحيم، المدرسة والمجتمع ١٩٦٤، ٣١)

ديوي يؤكد ايضا على ان التغييرات التي تحدث في قيمة التربية الحديثة هي من نتاج الحالة الاجتماعية المتغيرة، وهي لذلك جهد يسد حاجات المجتمع الجديد الاخذ بالتكوين ولهذا فهي مشابه في نمطها للتغييرات التي تحدث في الصناعة والتجارة اي إدراك ما يمكن ان تطلق عليه اصطلاح" التربية الحديثة " (ديوي و رحيم، المدرسة والمجتمع ١٩٦٤، ٣٢)

ان التغيير الذي يخطر على الذهن اولا هو التغير الصناعي وهو الذي يلقى بظله على التغييرات الاخرى بل ويتحكم فيها ويقصد ديوي بالتغيير الصناعي تطبيق العلم الذي نتجت عنه الاختراعات العظيمة التي استغلت قوى الطبيعة على مدى واسع ورخيص الكلفة فاتسعت السوق العالمية بوصفها من هدف الانتاج ووجدت مراكز صناعية واسعة لتجهيز هذه السوق بوسائل اتصال ووسائل توزيع سريعة ورخيصة وكذلك عادات المعيشة تغيرت بصورة مذهلة من السرعة والجودة يقول ديوي " وحتى آراؤنا في الاخلاق والدين وهي اشد ما فينا محافظة لأنها مستقرة في اعمق اعماق طبيعتنا (ديوي و رحيم، المدرسة والمجتمع ١٩٦٤، ٣٢)

لقد حصلت ثورة غيرت مجرى الحياة الاجتماعية في كل شيء وحتى القيم التربوية يرجع النظام الصناعي في اصله الى نظام المعمل المؤسس في البيت اي قبل الثورة الصناعية بصفة خاصة في الاماكن الريفية ربما تشمل منزل طفولة ديوي كانت الصور النمطية للعمل الصناعي تمارس في المنزل وكان الاطفال يساهمون فيه وكانت نتيجة ذلك انهم اكتسبوا عادات النظام والصناعة والاحساس بالمسؤولية فكل واحد منهم شعر انه لابد ان يفعل شئيا وينتج شئيا في العالم واننا لا نستطيع ان نغفل عوامل الضبط وبناء الخلق المتضمنة في هذا النوع من الحياة وكانت المشكلة بالنسبة لمدرسة المدينة الحديثة هي تقديم تدريب مماثل في بيئة اكثر تعقيدا فالمدرسة يجب ان تكون مجتمعا مصغرا يصبح فيه الاطفال مواطنين اذكياء ونافعين عن طريق صنع اشياء بصورة مشتركة (رايت و احمد ٢٠١٠، ١١٥)

ان قيمة المدرسة عند ديوي كما يؤكد عليها " صورة اصلية لحياة المجتمع الفعالة بدل ان تكون مكانا منعزلا يجري فيه تعليم الدروس فالمجتمع عدد من الناس المرتبطين ببعضهم البعض لأنهم يعملون ضمن خطوط عامة وبروح عامة ويلتقون بأهداف عامة

والحاجات والاهداف العامة تتطلب تبادلا ناميا في الافكار ووحدة نامية في الشعور الودي (ديوي و رحيم، المدرسة والمجتمع ١٩٦٤، ٣٧)

وهذا يعني ان هناك علاقة بين قيمة الدرس والحياة في المجتمع فيؤكد ديوي علاقة قيمة المدرسة بحياة الطفل ونموه" فاذا اعتقدنا بالحياة وبحياة الطفل بصورة خاصة فان المهن والفوائد وان التاريخ والعلم وما يتصل بهما تصبح جميعا ادوات جذاة ومواد ثقافية لخياله وبذلك يصل الى اغناء حياته وعندما يمكن للطبيعة والمجتمع ان يعيشا في غرفة الدراسة وعندما تخضع انواع وادوات التعلم لمادة الخبرة فستكون حينذاك فرصة لهذا التعرف وستصبح الثقافة جوازا للمرور الى الديمقراطية (ديوي و رحيم، المدرسة والمجتمع ١٩٦٤، ٧٣)

يربط ديوي بين قيمة التربية والديمقراطية ربطا قويا اذ يقول " فليست الديمقراطية مجرد شكل للحكومة وانما هي في اساسها اسلوب من الحياة المجتمعية والحرة المشتركة المتبادلة.

ان زيادة عدد الافراد المشتركين في مصلحة واحدة وانتشارهم على ظهر الارض بحيث يصل كل منهم عمله بأعمال غيره معتبرا اعمال غيره مقيدة ومسددة لاتجاه عمله معناها تحطيم الحواجز التي فرقت ين الطبقات والاجناس والاوطان (ديوي، عفراوي و زكريا، الديمقراطية والتربية ١٩٧٨، ٩٠)

الخاتمة

يعد جون ديوي كل القيم الاخلاقية تجريبية ومن ثم تكون خاضعة للمراجعة، ويمكن للأخلاق ان تتطور وتنمو اذ قدر ان يكون لها علما لان العقل الانساني لم يعرف الحقيقة كلها

فقيمة الاخلاق عند ديوي هو سلوك الناس وما هو الفارق بين السلوك الحميد والسلوك السي ان التربية في نظر ديوي نفسية واجتماعية معا

ويهدف لاكتساب الفرد مهارات واتجاهات تناسب المجتمع الذي يعيش فيه من ناحية والعمل على رفاهيته من ناحية اخرى وتهتم التربية بالطفل ككل من النواحي الجسمية والعقلية والخلقية والاجتماعية وتعمل جاهزة على توفير كل الفرص الممكنة التي تشبع حاجات الطفل للنمو وتمكنه من التعبير عن ذاته

وان التعليم يكون أكثر فعالية عن طريق العمل فهو يسمى المدرسة بمدرسة النشاط ويعارض النظم التقليدية في التربية التي تجعل من الطالب مجرد آلة يستقبل المعلومات ويحفظها دون ان يكون له اي نشاط او فعالية، فنراه يدعو للجمع بين النشاط البدني والعقلي والاجتماعي للطالب من اجل التعلم فيكون معتمدا على نفسه ومتعاون مع غيره.